# بعض المفاهيم القرآنية ومدلولاتها التربوية

إعداد

الدكتور محمود عايد رشدان

الجامعة الاسلامية العالمية

كوالالمبور - ماليزيا

# بعض المفاهيم القرآنية ومدلولاتها التربوية

## أ) مقدمات ومسلمات

يرتكز هذا البحث على مسلمات وتقريرات، مفادها، أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقائد والتشريع والأحكام، كما هو مصدر للمعرفة والهداية والألهام. إن الوحي والكون هما المصدران الرئيسان للمسلم للثقافة والمعرفة والعلم، فكما ان الله سبحانه وتعالى جعل آياته في محكم قرآنه المسطور، كذلك فقد اودع آياته في محكم خلقه المنشور.

"ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين" (الروم:٢٤)

إن هذا القرآن وما جاء به من دين، جاء ليكون هدى للناس، ورحمة للعالمين، وليكون كذلك؛ يقتضي ان تدرس آياته من قوم يعقلون، ويتفكرون ويتدبرون. ومن مقتضى التفكر والتدبر، أنّ تدرس وتفهم آيات القرآن في ضوء آيات الكون وتكون دراسات الخلق والكون قاموساً لدراسات القرآن.

إنه في الحقيقة منهج واحد ذو شقين لا يكتمل احدهما إلا بالآخر. فاذا انفصل احدهما عن الآخر، كما هو الحال في معظم مناهج بحوثنا وانظمتنا التعليمية والتربوية، اصبح لدينا علماء بلا هداية، ومهتدون بلا علم، ولعل هذا بعض ما تشير اليه الآية الكريمة.

"يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون" (الروم: ٧)

وتقرير الله تعالى في اواخر كثير من الآيات القرآنية.

"ولكن اكثر الناس لا يعلمون"...."بل اكثرهم لا يعلمون" كمثل قوله تعالى:

"أمّنْ جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإلهٌ مع الله؟ بل اكثرهم لا يعلمون". (النحل: ١٦)

"ذلك الدّين القيّمُ ولكن اكثر الناس لا يعلمون". (يوسف: ٤٠)

إن الفقهاء وعلماء الأصول الأقدمين بذلوا جهوداً مضنية، ومثمرة، في تأسيس مناهج علمية دقيقة ومحكمة لاستخراج واستنباط الأحكام العبادية والتشريعية من النصوص القرآنية والسنة النبوية، وكذلك فعل جهابذة المحدثين في تخريج الحديث، وتصحيحه، ولعل الأضافة إلى جهودهم فيما اسسوه من علوم ليس بالأمر اليسير.

غير أن القرآن الكريم والسنة النبوية كذلك لم ينالا من المختصين في العلوم الاجتماعية والانسانية ما يوازي جهود الاصوليين، والفقهاء، والمحدثين، من جهد أصيل ودؤوب، لاستخراج وبناء نظريات لهذه العلوم مستمدة أو مؤصلة في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ بل لقد اقتبسنا مناهج الغرب ونظرياته في هذه العلوم، كما أن علماء الشريعة المعاصرين بذلوا اكثر جهودهم في شرح المتون وإعادة تفسير أعمال الأولين، منقطعين في اكثر احوالهم عن زمانهم ومكانهم، فكان هؤلاء وهؤلاء إما غرباء الزمان وإما غرباء المكان، أو اصابتهم غربة الزمان والمكان معا. واصبحت معارف المسلمين في عصور انحطاطهم مصابة بالشلل النصفي، أو الغيبوبة الكاملة، فأنى يتأتى لنا والحالة هذه أن نكون شهداء على الناس. ولقد انتجت مناهج البحث والتربية والتعليم عندنا فريقين من العلماء، كل يتربص بالآخر يطفف كيله ويبخس بضاعته.

وفي السنوات الأخيرة شهدت صحوة الأيمان عند المسلمين تنبها عند علمائهم من الفريقين، ففريق المختصين بالعلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية والذين جل مناهجهم غربية علمانية، اكتشف أنّ في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على كثير مما-استحسنوه وتبنّوْه مما اكتشفه الغرب في الكون والنفس والمجتمع. وفريق من

المختصين بعلوم القرآن والسنة أعجبه ما حققه العرب من اكتشافات علمية، فانصرف لتوثيق ما أسماه بالأعجاز العلمي للقرآن. الغرب يبحث ويكتشف، ويسخر ويسيطر على طريقته ونحن كذلك نكتشف ونقرر على طريقتنا، وماذا علينا بعد ذلك لو استمرت الهيمنة الغربية الحضارية، وازداد عجزنا وتخلفنا، ما دمنا قد أثبتنا أن الاسلام (وليس المسلمين) قد سبق الغرب في كل شيء؟!

إننا مع هذا النقد يجب ان لا نفكر انه قد تحققت بعض الفوائد من هذه الجهود، ليس أقلُّها اقناع عدد كبير من المختصين بضرورة التعامل مع العلوم التي يسيطر عليها الغرب من خلال نظرة نقدية وفق مناهج اصيلة، بحيث نستطيع ان نأخذ منها ونترك دون أن تذوب شخصيتنا العلمية والحضارية والثقافية في شخصيات اعدائنا، فنحن لا نريد ان نزين الصالح والطالح من علوم الغرب ونظرياته، كذلك نحن لا نريد أن نترك هذه العلوم الى: قال الله وقال رسوله، ونطرح في الاسواق "علم الاجتماع الاسلامي" "وعلم النفس الأسلامي" وكذا الاسلامي وتلك الاسلامية إلى آخر ما يضمن رواج البضاعة وضمان الربح في ظل صحوة الايمان وقصور صحوة الفكر.

إن البحث الحالي ينطلق من تقرير ان الله سبحانه وتعالى انزل كتابه الكريم ويسّره للذكر والفهم والتدبر، وتتفاوت الأفهام بتفاوت الملكات الفطرية والمؤهلات العلمية والمناهج البحثية، على أن المفاهيم، منفردة أو مجتمعة، في اي مكان وفي اي زمان، لا يمكن ان تستوعب القرآن الكريم او تحيط بشكل نهائي وكامل بكل ما فيه من إعجاز أو كل ما فيه من علوم وصدق الله إذ يقول:

"وما اوتيتم من العلم إلا قليلا" (الاسراء: ٨٥)

"قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" (الكهف: ١٠٩)

فكلمات العلماء ونظرياتهم، مسلمين وغير مسلمين، تنفد، وكلمات الله واياته لا تنفد.

## ب) البحث: هدفه ومنهجه

يهدف هذا البحث إلى النظر المباشر في القرآن الكريم للتعرف على بعض المفاهيم الاساسية المهمة فيه، ليصار بعد ذلك إلى جعلها اساسيةومهمة في نظرياتنا التربوية المعاصرة، حيث أن المسلم يلزم نفسه في أن يجعل مهماً ما جعله الله مهما، ويقلل من اهمية ما قلل الله من اهميته.

ويرد سؤال مهم لهذا الغرض حول المعيار الذي يصلح ان يوظف للحكم على مدى اهمية مفهوم قرآني معين، لأن ذلك بطبيعة الحال سيؤثر على الاختيار النهائي للمفاهيم الاساسية. ولأغراض هذا البحث المبدأي ولوقت معلوم، اعتبر التكرار اللفظي معياراً مناسباً، وإن لم يكن معياراً وحيداً، للحكم على أهمية ومكانة المفاهيم المختلفة. ومنطق اختيار هذا المعيار هو ان كلام الله معجز، فلا يمكن ان يتكرر لفظ ما، أو مفهوم معين، ويكون هناك لفظ بديل أو مفهوم آخر أدل منه أو أبلغ أو أحكم. ومن المهم التنبيه هنا الى أن التكرار اللفظي كمعيار للاختيار، لا يُعَدّ معياراً استثنائياً بحيث لا يُعَدّ مهماً اي مفهوم قرآني لم يتكرر لفظه كثيراً في القرآن الكريم. فالشورى مثلاً على اهميتها في حياة المسلمين، لم يرد لفظها في القرآن الكريم غير ثلاث مرات (البقرة: ٢٢٣، آل عمران: ١٥٩، الشورى: ٣٨)، على أن البحث لم يعالج هذه القضية واكتفى بالتنبيه إليها، علها تعالج في أبحاث لاحقة إن شاء الله.

## (جـ) نتائج البحث

بعد تطبيق معيار التكرار اللفظي للاختيار، برزت المفهومات القرآنية التالية، ذات أهمية مركزية وهي:

(١) الربوبيه (٩٨١ مرة) (٢) العلم (٨٥٤ مرة)

(٣) الأيمان (٨٤٦ مرة) (٤) السير والنظر والتفكير في آيات الله

(٥) العمل (٣٥٩مرة) (آية ٣٧٩+نظر ١٢٧مرة =٥٠٦ مرة)

هذه مفاهيم خمسة تدل دراستها في مواضعها المختلفة وفي السياقات التي جاءت بها على أنها مفاهيم قرآنية محورية.

أما مفهوم الربوبية: فقد جعله العلامة أبو الأعلى المودودي، أحد المصطلحات الاربعة التي يقول فيها مايلي:

"الأله والرب والدين والعبادة" هذه الكلمات الاربع اساس المصطلح القرآني وقوامه والقطب الذي تدور حوله دعوة القرآن....فمن قرأ القرآن، وتتبع آياته، فإنه يحس لأول وهلة أن كل ما نزل به القرآن الكريم من الهدي والارشاد، لا يدور إلا حول هذه المصطلحات الاربعة"*

إن القرآن يحتوي، ولا شك على مفاهيم أخرى هي من صلب دعوته، وهديه. وإن من واجب الباحثين والمتخصصين أن يجلوا اهميتها ويضعوها في مكانها المناسب من نظرياتهم ومناهجهم.

على أنّ مثل هذا التقرير من العلامة المودودي-رحمه الله-والذي جاء من قبل خمسين عاماً، لا يمكن أن يقبل على اطلاقه، إذ فيه تضيّق واسع، ولزوم ما لا يلزم.

إن النظر في المفاهيم الخمسه المختارة لهذا البحث تدل على ما يلي:

(١) ترابط الايمان والعمل.

(٢) ترابط العلم والعمل.

---

* ابو الأعلى المودودي، المصطلحات الاربعة في القرآن، دار القلم، الكويت، الطبعة السادسة ١٩٧٧، تعريب محمد كاظم سباقه، ص٥-٧.

(٣) ترابط الايمان والعلم والعمل مع مفهوم الربوبية.

(٤) السير والنظر في ملكوت الله واكتشاف سننه في الكون.

والنفس والمجتمع هي من اهم ادوات العلم والتعلم، وبذلك فان اية نظرية للتعلم والتعليم من منظور اسلامي لا يمكن أن تعتمد على التلقين والحفظ فحسب، بل إن النظر العقلي والمنهج التجريبي الميداني، وتوظيف الملكات التي اودعها الله في الانسان من سمع وبصر وتفكر لهي من اهم وسائل التربية والتعليم. وللحديث صلة.

والله نسأل الهداية ونسأله أن يعلمنا من علمه وأن يجعلنا من العاملين وهو نعم المولى ونعم النصير.